أن تتدخل فى شئون بابل ، ثم تمكن الملك الأشورى «توكولت انتورا — Tukult Entura » من هزيمة الكاشيين الذين كانوا يحكمون بابل فى سنة ١٢٥٧ ق . م . وأصبحت دولة آشور الوريثة لحكم بلاد النهرين بعد طرد الكاشيين من بابل فى سنة ١٢٣٠ ق . م . تمكن الملك «تجلاش بلاسر الأول Tiglash Pileser I » فى سنة ١١٠٠ ق . م ، من مد ممتلكاته شمالا إلى منابع دجلة ، وغرباً إلى البحر الأبيض المتوسط ، وشرقًا إلى حدود الهضبة الإيرانية ، وجنوبًا إلى بابل . وتسمى هذه الفترة بالدولة الآشورية المتوسطة ولكن تلت هذه الانتصارات عهود ضعيفة مكنت ملوك الآراميين من الاستيلاء على بعض ممتلكات الإمبراطورية . ولكنها استرجعت ثانية فى سنة ٩٠٠ ق . م على يد ملوك الآشوريين الأقوياء . كما تمكن خلفاؤهم من الاستيلاء على دمشق عاصمة الآراميين فى سنة ٧٢٢ ق . م وعلى « سامريا » عاصمة دولة يهوذا فى سنة ٧١٠ ق . م وفى عام ٨٧٠ ق . م ضم « أسار حدون » الجزء الشمالى من مصر إلى ممتلكاته بالإضافة إلى توجيه حملات ضد العلاميين ووصلت الدولة إلى مركز كبير فى عهد الملك « أشور بانيپال » الذى أرسل حملة إلى مصر لإخماد الثورة التى قامت فيها ضد الحكم الأشورى ودمر مدينة « سوزا » عاصمة العلاميين ، وقتل ملكها فى سنة ٦٤٠ ق . م ولكن هذا الانتصار لم يدم ، فقد ضعفت الدولة من كثرة إغارة قبائل « الميديين Midian » و « السيثيين Scythian » عليها [1] وسقطت مدينة نينوى فى سنة ٦١٢ ق . م بعد أن تحالف ضدها الميديون والكلدانيون الذين كانوا يحكمون فى بابل . وانتهت الإمبراطورية الأشورية بالزوال مثل ما انتهت الإمبراطوريات السابقة . وتسمى هذه الفترة الواقعة بين سنة ١٠٠٠ ق . م . — سنة ٦١٢ ق . م . بالدولة الأشورية الحديثة .

ولقد استمد الآشوريون حضارتهم من السومريين مثلما استمد الرومان حضارتهم من الإغريق ، واقتبسوا كثيراً من الديانة السومرية ، وقدسوا آلهتها ، وأضافوا إليها آلهة من عندهم مثال ذلك الإله « أداد Adad » إله العاصفة

---

(١) استقرت هذه القبائل بعد تجوالها فى البلاد الإيرانية بالمنطقة الجبلية الواقعة بين إيران و روسيا .

والإله « أشور Asur » إله الحرب . وكان الأخير مفضلا لديهم لكونهم أمة حربية ، ورمزوا له بشكل آدمى يتوسط قرصًا مجنحًا يطلق سهامه على العدو . وقد نقلوا هذا الرمز عن الحيثيين الذين نقلوه بدورهم عن المصريين .

إنعدم الفن فى بلاد الأشوريين قبل استقلالهم عن حكم الدولة الكاشية فى بابل . ويبدأ ظهور بعض الأعمال الفنية فى مدينة آشور منذ القرن الثانى عشر قبل الميلاد ويغلب عليها الطابع السومرى . أما طابع الفن الأشورى الخاص بهم فلم يظهر إلا فى القرن التاسع قبل الميلاد فى عهد « أشورناصريال » .

العمارة :

ترتب على انشغال الآشوريين بالحروب انصرافهم عن التعمق فى الشئون الدينية لذلك لم يعثر لهم على كثير من المشيدات الدينية وكان ما عثر عليه متأثراً بالنمط السومرى ، حيث عثر فى مدينتى « أشور » و « خورسباد » على آثار زقورات ذات عدة مصاطب تحمل المعابد . كما أنهم لم يعتنوا ببناء القبور لانعدام إيمانهم بالحياة الأخرى ، وكان الموتى من العائلة الملكية يدفنون تحت أرضية القصر الملكى[1] ، واقتصر فن المعمار الآشورى على تشييد القصور الفخمة التى تليق بملوك الآشوريين . وقد تبارى الملوك الآشوريون فى العصور المتتابعة فى تشييد قصور جديدة بمجرد اعتلائهم الحكم ، وصلت إلى درجة كبيرة من الحجم والفخامة لم يسبق لها مثيل فى بلاد النهرين ، وقد استمر هذا النشاط المعمارى من عام ١٠٠٠ ق . م . إلى عام ٦١٢ ق . م . الموافق سقوط العاصمة « نينوى » وزوال الإمبراطورية الآشورية .

وتتشابه القصور الآشورية فى التخطيط العام . فيقام القصر على أرض مستطيلة يحيط بها أسوار عالية بها عدة أبراج للحراسة . كما عرف الأشوريون استعمال الأعمدة والعقود فى مشيداتهم وكان جسم العمود أسطوانى الشكل أملس به تاج[2] ربما استمدوه من الفينيقيين ، ولم تكن لهذه الأعمدة أهمية معمارية .

---

(١) عثر على عدد من هذه الأقبية تحت أرضية القصر الملكى فى مدينة « أشور » .

(٢) لم يعثر على قصر أشورى كامل وإنما استمدت هذه المعلومات من النقوش الموجودة على ألواح الجدران بصور توضح الشكل الخارجى للقصور .

لم يعثر على قصور كاملة للملوك الآشوريين من جراء التدمير الذى لحق بالمدن الآشورية بسبب الحروب المتتالية التى مرت بها البلاد . ويعتبر ما تبقى من قصر الملك « سارجون » فى « خورسباد » من أفضل الأمثلة المعمارية الآشورية ، فهى تمدنا بالكثير من المعلومات عن الفن المعمارى المتبع فى تشييد هذه القصور الملكية .

اختار الملك « سرجون » مكانًا شمال شرق مدينة « نينوى » شيد فيه عاصمة جديدة وقصراً خاصًا به وسمى هذه المدينة « شاروكين » (حاليًا « خورسباد ») وأكمل بناءها فى سبع سنوات ولكنه لم يعش فيها إلا سنة واحدة ثم توفى بعدها . وكانت المساحة التى شيد عليها تلك المدينة تبلغ حوالى خمسة وعشرين فدانًا ، ويحجب القصر عن المدينة سور عال تعلوه أبراج عالية . وقد تميز مدخل هذا القصر بثلاث بوابات ذات عقود مستديرة يحيط بها أبراج شامخة للحراسة ، وقد استخدم الطوب فى تشييد هذه القصور على النمط السومرى إلا أن الآشوريين بطنوا الجزء الأسفل من جدران المدخل بكتل حجرية لم يكن من الصعب توفرها فى شمال بلاد النهرين كما بطنوا الجزء الأسفل من الجدران الداخلية بألواح من الحجر أيضًا وتبرز من الكتل الحجرية القائمة بالمدخل تماثيل لحيوانات مجنحة برءوس آدمية (شكل ١٨٣) وقد تكون هذه الحيوانات ثيرانًا أو أسوداً . ويتضح أن فكرة نحت الأشكال الحيوانية فى الكتل الحجرية الموجودة بداخل القصور الآشورية (شكل ١٨٤) مستمد أسلوبها من مداخل قصور الحيثيين الموجودة فى مدينة « بوغازكوى » (شكل ١٥٤) ويبدو أن الملوك الآشوريين شاهدوا قصور الحيثيين وأعجبوا بها ونقلوا الكثير من طرازها المعمارى ومما يؤيد هذا قول الملكين « سنخريب » و « تجلاش بلاشر » إنهما أقاما قصورهما على الطراز الحيثى . وبديهى أن الغرض من نحت هذه المخلوقات الضخمة بمداخل القصور هو التأثير على الزائر وإشعاره بقوة وعظمة الملوك الآشوريين . ويزداد هذا التأثير إذا مر الزائر إلى داخل القصر ورأى النقوش البارزة الموجودة على ألواح الممر التى تغطى الجزء الأسفل من الجدار المشيد من الطوب . حيث كانت

(شكل ١٨٣) ثور مجنح برأس آدمى — نحت بارز عثر عليه فى مدخل قصر نمرد — القرن التاسع ق . م . « المتحف البريطانى »

١٨٣

١٨٤

(شكل ١٨٤) بوابة قصر الملك « سارجون » بحديقة « خورسباد » ويظهر بالمدخل زوج من الثيران المجنحة .

(شكل ١٨٥) نقوش بارزة لمخلوقات خيالية آدمية مجنحة (ا) وجدت بقصر الملك أشور ناصر فى « نمرد » القرن التاسع ق .م. (ب) مخلوقات برءوس طيور — قصر الملك سارجون خورسباد القرن الثامن . « متحف اللوفر »

هذه النقوش توضح الغزوات الحربية التى انتصر فيها الآشوريون . وكانت الغزوات التى قام بها الملك مسجلة فى ترتيب تاريخى مع توضيح كل غزوة بالتفصيل فيشاهد الزائر الجيوش الآشورية تتقدم دائمًا لملاقاة الأعداء وإلحاق الهزيمة بهم ثم تعود محملة بالغنائم والأسرى . وتوضح تاريخ الحملات كتابات فى أعلى الصورة . وإذا كثرت الغزوات توضح المناظر المنقوشة فى إفريزين أحدهما فوق الآخر . وفى هذه الحالة توجد الكتابة بين هذين الإفريزين .

النقوش البارزة :

لم يسبق الآشوريين فى استعمال زخارف منقوشة على أحجار الجدران إلا الحيثيون . ولم تكن لها أهمية معمارية عند الآشوريين ، بل استعملت فقط لزخرفة الجدار . كما أن نقوش الحيثيين ارتفعت إلى متر واحد فقط لكن الآشوريين بعد ما اقتبسوا الفكرة زادوا فى ارتفاع الإفريز مبالغة فى إظهار العظمة والفخامة التى تليق بالملوك الآشوريين . فيبلغ ارتفاع الألواح فى قصر الملك « أشورناصربال » حوالى مترين ونصف وفى قصر الملك سارجون ثلاثة أمتار ونصف تقريبًا .

وترجع أهمية هذا الأسلوب الآشورى إلى أن هذه المناظر تمثل أطول مساحة قصصية عرفت فى تاريخ الشرق الأوسط . فالمصريون استخدموا جدران المعابد لنقش منظر واحد يوضح معركة حربية . كذلك فعل السومريون على لوحاتهم التذكارية . كما عثر فى قصر «دركوريجالزو Dur--Kurigalzu» على جدار مزخرف بصف من الأشخاص الملونة من صنع « الكاشيين » لكن الآشوريين اتبعوا أسلوبًا مخالفًا إذ جعلوا من تسجيل تفاصيل الأحداث الحربية فى شريط ممتد مصور فنًا تاريخيًا وزخرفيًا يسهل فهمه وتتبعه .

وفى بلاد النهرين باستثناء لوحتى « أورنامو » و « نرامسن » تعتبر هذه هى المرة الأولى التى نرى فيها النقش البارز لا تدور مواضيعه حول المعتقدات الدينية . ويعتبر هذا التغيير إيذانًا بظهور تطور فى طابع فنون بلاد النهرين . فالمثول أمام الإله الذى كان يسجل بكثرة فى العهود المختلفة فى بلاد النهرين

اختفى كلية . ونادراً ما يصور الإله ، بل يرمز له برموز تأخذ مكاناً غير ظاهر فى الصورة .

وكان الشىء الوحيد الذى بقى من التقاليد السومرية هو المخلوقات الآدمية المجنحة ، أو الآدمية برءوس طيور ، وترسم هذه المخلوقات الخيالية مرتدية زى الملوك مع تسجيل جميع التفاصيل الدقيقة الموجودة فى الزى مما يضيع من هيبة هذه المخلوقات . وتأخذ هذه المخلوقات مكانها على جوانب المداخل خلف الثيران المجنحة لتقوم بطرد الأرواح الشريرة ، وتشاهد على مداخل قصرى الملك « أشورناصربال » (شكل ١٨٥ — ا — ب) والملك « سرجون » .

وقد ابتدأ ظهور هذا الفن فى عهد الملك « أشورناصربال » فى القرن التاسع قبل الميلاد وتطور فى عهد الملوك « شلمنصر Shalamasar » و« تجلاش بلاسر الثالث » ونضج فى عهد الملك «سارجون» وبلغ القمة الفنية فى عهد الملك « أشوربانيبال » . وبدراسة مجموعة من هذه الألواح المنقوشة فى العهود المتتالية يمكن تتبع مراحل هذا التطور فمن قصر الملك أشورناصربال الذى شيده بمدينة «غرد Nimrud حاليا » — « كلح »— يتضح أن المناظر الحربية قد رسمت بدون مراعاة لقواعد المنظور فلا يوجد ما يشعر بقرب الأشياء وبعدها ، وهذا يتضح فى منظر يسجل انتصار الآشوريين فى معركة « لاشيش lashish » (شكل ١٨٦) . فتظهر جنود الأعداء الفارين يسبحون الواحد فوق الآخر بدون رابطة بينهم ، كما لا يتضح شكل الضفة الأخرى التى يقف عليها الجنود الآشوريون .

وعادة لا يرسم الملك الآشورى بحجم مخالف لحجم الأشخاص الموجودين معه فى الصورة فى هذه المناظر الحربية . لذلك لا تبرز أهمية شخصية الملك ، ولكن عظمة الملك وشجاعته كانتا متوفرتين فى مواضيع صيد الأسود التى كانت تعتبر رياضة مفضلة لدى الملوك الآشوريين — وكانت الأسود تحفظ فى أماكن خاصة تطلق منها إذا ما رغب الملك فى صيدها — فنشاهد نقشاً يصور الملك « أشورناصربال » مستقلا عربته فى موكب الصيد يلتفت إلى الخلف بشجاعة

كل ١٨٦) نقش بارز من جدار فى قصر مدينة « نمرد » ويظهر
د الأشوريون يسبحون فوق قرب ممتلئة بالهواء . « المتحف البريطانى »

١٨٨ ا

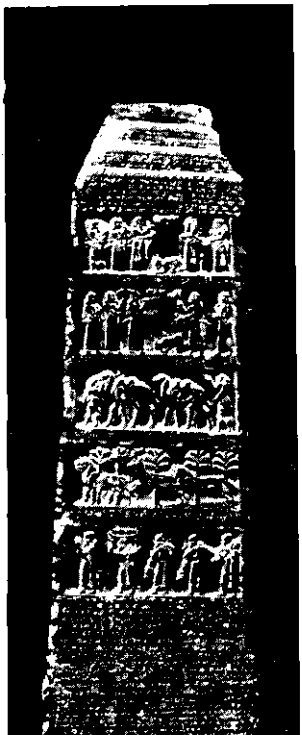

كل ١٨٧) الملك أشور ناصر بال يصطاد الأسود . نقش جدارى
عليه فى مدينة « نمرد » . « المتحف البريطانى »

(شكل ١٨٨ ا،ب) مسلة الملك « شلمنصر الثالث » عثر عليها فى « نمرد » وبها نقوش بارزة لانتصارات الملك على أعدائه (ب) ويظهر فى إحداها ملك يهوذا يجثو أمام الملك ، القرن التاسع «المتحف البريطانى»

١٨٨ ب

ليصوب سهماً آخر على الأسد الذى أصابته السهام فيحاول مهاجمة العربة الملكية (شكل ١٨٧) وتمتاز هذه المناظر بحيوية أكثر من المناظر الحربية . كما تدل على ملاحظة الفنان الدقيقة للحيوان ودراسته له ، ويبدو ذلك واضحاً فى تعبير الشراسة الموجود على وجه الأسد الجريح بينما يبدو الخنوع على الأسد الذى أصابت سهام الملك منه مقتلا . كما يلاحظ تسجيل انفعال خوف الجياد من الأسود فى حركة الأذن المضمومة على الرأس .

وبمقارنة مناظر صيد الحيوانات المصرية (شكل ٩٣) بمثيلتها الآشورية يلاحظ أن الفنان المصرى عالج الموضوع من الناحية الزخرفية بينما تميزت مناظر الصيد الآشورية بطابع العنف . ومع أن الجواد الآشورى يبدو أقل رشاقة من الحصان المصرى لكنه أكثر حيوية .

وقد سجلت الانتصارات الحربية فى بعض العهود بمناظر سامية تخلو من العنف . ومن هذه النماذج نقوش مسلة الملك « شلمنصر الثالث » المنتهية بشكل الزقورة ، فتظهر المواضيع فيها مرتبة فى سطور أفقية بينما توضح الكتابة الموجودة فى أسفل السطور قصص الصور المنقوشة (شكل ١٨٨) . وتمتاز هذه المناظر بالبساطة والوضوح ، حيث اعتنى الفنان فيها بتوضيح زى الأشخاص ليسهل معرفة أجناسهم فيشاهد فى إحدى السطور ملك يهوذا راكعاً أمام الملك الآشورى (١٨٨ أ) .

يتقدم فن النقش على الألواح فى عهد الملك « سارجون » كما يقل ظهور المناظر الحربية ، ويملأ اللوح المرتفع بمنظر واحد ترسم فيه الأشخاص بحجم كبير واضح ، وتظهر شخصيات من الأساطير السومرية القديمة فنرى البطل « جلجامش » مرسوماً بحجم كبير يحتضن أسداً صغيراً (شكل ١٨٩) والنحت فى هذه الصورة بارز لدرجة أن البطل « جلجامش » يبدو للرائى وكأنه خارج من سطح الجدار .

ولا تتميز مناظر الصيد الموجودة بقصر الملك « سارجون » بطابع العنف الموجود فى المناظر المماثلة فى القصور الآشورية . كما أن هناك محاولة أكثر

لتوضيح المنطقة التى يصطاد فيها الملك فتظهر الغابة بأشجارها المختلفة الأحجام وتبدو الأشكال موزعة توزيعاً جميلا على خلفية الصورة (شكل ١٩٠) . ولو أن الفنان لم يهتم بدراسة المنظور فى هذه الصورة حيث رسم الأشخاص والأشجار على خط وقف واحد . إلا أنه اهتم بتغطية المساحة كلها بوحدات متنوعة واضحة . كما يسرت عنايته الفائقة بإظهار خصائص الحيوانات الوصول إلى نتيجة حسنة .

وقد تطورت النقوش الآشورية تطوراً كبيراً فى عهد الملك « سنخريب » ابن الملك « سارجون » الذى شيد قصراً عظيماً فى « نينوى » فتظهر أشخاص كثيرة فى المواضيع الحربية . ولرغبة الفنان فى ملء الألواح العالية بأشخاص كثيرة اضطر إلى تصغير حجمها . فنرى الجنود الآشوريين يطاردون القبائل التى تسكن منطقة المستنقعات موزعين فى مجموعات على مساحة الصورة (شكل ١٩١) . وتشعرنا طريقة رسمه النباتات النامية فى الماء بإدراك أكثر لقواعد المنظور وإحساس بالقرب والبعد . كما تتميز الأشخاص المرسومة فى نقوش قصر الملك « سنحريب » بالحيوية والحركة . ويذكرنا التعبير عن المياه بخطوط متموجة تظهر فيها الحيوانات المائية بمناظر الصيد القديمة .

وقد وصل فن النحت البارز الآشورى القمة فى لوحات قصر الملك « أشوربانيبال » المشيد فى مدينة « نينوى » فأصبحت الأشكال المصورة والمنقوشة أكثر وضوحاً ، وازدادت العناية بتسجيل الحركات المختلفة بدقة . كما تظهر منذ ذلك العهد الخطوط المائلة فى تكوين الصورة لأول مرة ، ويتضح ذلك من نقش يصور قصة انتصار الجيوش الآشورية على مملكة علام ، فنرى الجنود الآشوريين يهاجمون مدينة « حمان » ثم يدمرونها ويتركونها عائدين بعد ما حملوا الغنائم . ويمكن ملاحظة الحركات المختلفة الممتلئة حيوية التى يقوم بها جنود الملك وهم يدمرون المدينة (شكل ١٩٢) .

وقد سجل الملك « أشوربانيبال » صورة الاحتفال بالنصر على ملك « علام » فى منظر بحديقة القصر (شكل ١٩٣) فيظهر الملك مضطجعاً على أريكة يشرب

(شكل ١٨٩) « البطل جلجامش يحمل أسداً صغيراً » نقش بارز وجد على جدار بقصر مدينة « خورسباد » القرن الثامن – «متحف اللوفر »

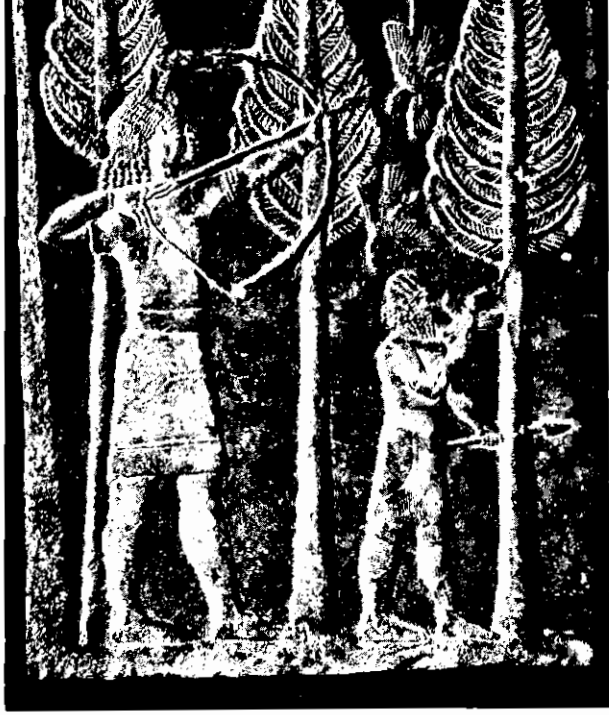

(شكل ١٩٠) منظر غابة على جدار بقصر الملك سارجون «بخورسباد» القرن الثامن ق . م . «متحف اللوفر»

(شكل ١٩١) جنود الملك سنخريب يطاردون الأعداء المختفين بالجزر – نقش بارز عثر عليه بقصر الملك ق « نينوى » القرن السابع ق . م . «المتحف البريطانى »

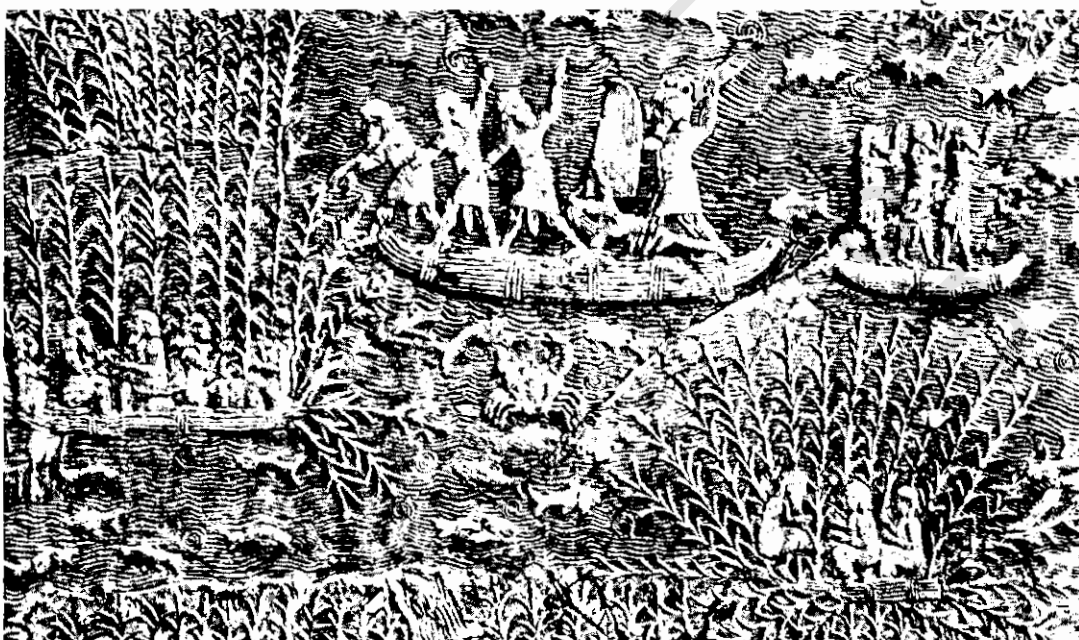

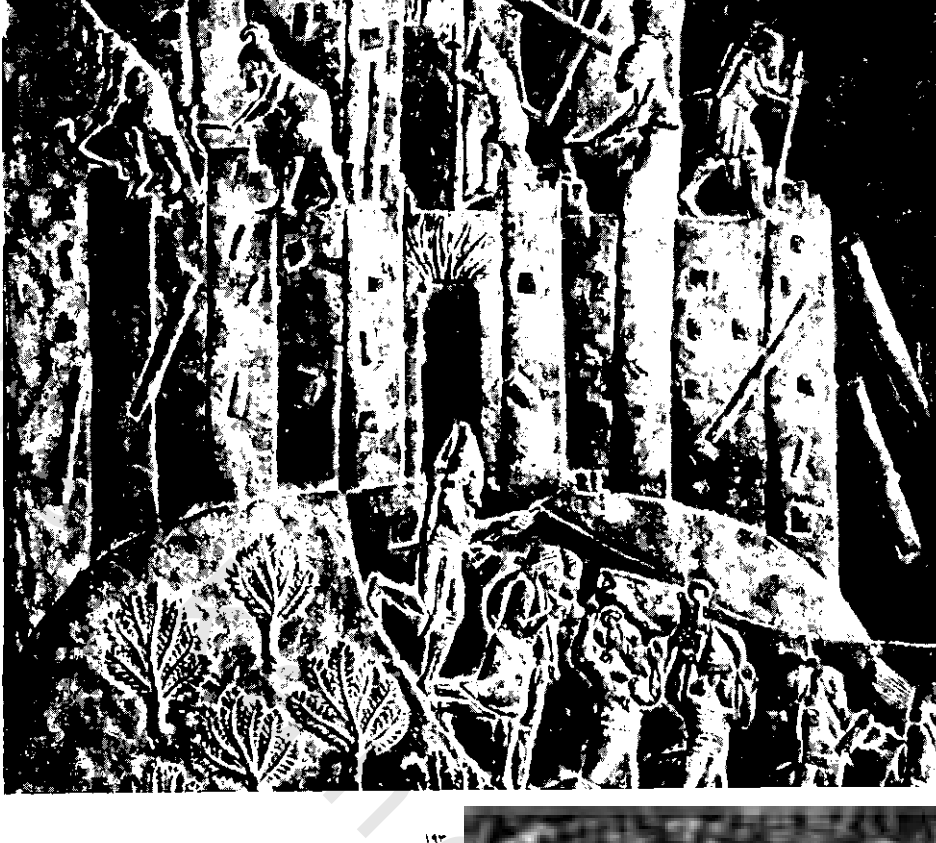

١٩٣

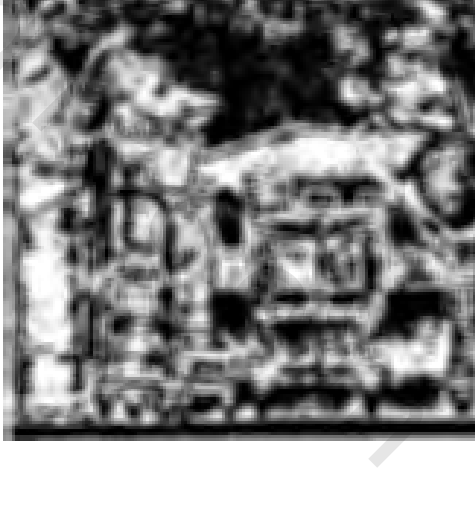

(شكل ١٩٢) جنود الملك أشور بانيبال يهبون مدينة « حمان » بعد أن انتصروا عليها . نقش بارز من قصر الملك فى مدينة « نينوى » القرن السابع ق . م . « المتحف البريطانى »

(شكل ١٩٣) « الملك أشور بانيبال مضجعاً فى الحديقة وأمامه تجلس الملكة » نقش بارز عثر عليه فى قصر الملك بمدينة «نينوى» القرن السابع ق . م . « المتحف البريطانى »

١٩٤

كل ١٩٤) « اللبؤة الجريحة » جزء من ع يصور صيد الملك أشور بانيبال للأسود ى على جدار قصر الملك بمدينة « نينوى » السابع ق . م — « المتحف البريطانى »

نخب الانتصار مع الملكة الجالسة أمامه بينما تظهر رأس ملك « علام » معلقة على شجرة بالحديقة . وهذه الصورة تعتبر من المناظر النادرة التى تظهر فيها النساء الآشوريات[١] .

ولقد تميزت نقوش قصر الملك «أشور بانيپال» بمناظر الحيوانات التى أثبت فيها الفنان المقدرة الفنية والكفاية التى وصل إليها فى ذلك العصر . وتعتبر هذه المجموعة أحسن ما ظهر فى العهد الآشورى كله إذ أن رسوم الحيوانات المطاردة سواء أكانت أسوداً أم جياداً أم غزلاناً دلت على دراسة الفنان للخصائص الذاتية لهذه الحيوانات كما دلت على فيض إحساسه ودقة شعوره .

وبالرغم من أن الفنان لم يظهر فى هذه الصور أى اهتمام بتوضيح خلفية الصورة التى وزع عليها الحيوانات ، إلا أن المرء لا يشعر بهذا النقص للدقة المتناهية التى رسم بها هذه الحيوانات ، مع الاهتمام بتوضيح الانفعالات المختلفة المنطبعة على أوجهها ، فعبر فى وجه اللبؤة الجريحة التى أصابتها السهام فشلّت النصف الخلفى من جسمها عن الآلام المبرحة التى تشعر بها (شكل١٩٤) .

وقد ظهر من بين هذه المناظر أيضًا ما يمثل صيد الجياد فنرى فيها الحيوانات هاربة تلوذ بالفرار . وهنا يتضح شغف الفنان بالحيوانات ومعرفته بتكوين أجسادها كما تظهر قوة حساسيته فى تسجيل التفاتة المهرة المولية إلى الخلف خوفًا على صغيرها الذى تطارده الكلاب (شكل ١٩٥) .

وهذا الفن الآشورى الملكى الذى ظهر فجأة فى القرن التاسع فى قصر الملك « أشورناصربال » لم يكن له مقدمات سابقة أو جذور فنية استمد منها ظهوره وقد اختفى فى الوقت الذى وصل فيه إلى القمة بعد سقوط نينوى فى سنة ٦١٢ ق . م . على يد الملك البابلى « نبوخذ نصر » . أى بعد حوالى قرنين ونصف من ظهوره ، مما حمل بعض العلماء على التساؤل : « هل هو فن أشورى خاص من عمل الفنان الآشورى ، أم أن هناك أكثر من يد تعاونت للوصول به إلى هذه الدرجة الفنية العالية ، وإذا لم يكن هذا الفن الملكى وطنيًّا نابعًا من

---

(١) لم تظهر فى النقوش الأشورية غير زوجة الملك « سنخريب » وزوجة الملك « أشور بانيپال» .

الفنان الآشورى فكيف أتت فكرة هذه المواضيع ؟ ومن اشترك فى إخراجها بهذه الصورة ؟ » .

قد تكون فكرة تسجيل المعارك الحربية ومناظر الصيد منقولة عن المناظر المماثلة التى تغطى جدران معابد « الرامسيوم » ومدينة « هابو » فى طيبة ، حيث يرجع تاريخ نقشها إلى مئات السنين قبل تاريخ النقوش الآشورية . وربما نقل الفينيقيون الذين كان لهم ولع خاص بتقليد الفن المصرى فكرة هذه المواضيع إلى الآشوريين ، ويؤيد هذا الفرض خضوع الدولة الفينيقية للدولة الآشورية فى سنة ٨٧٧ ق . م وقت ظهور هذا الفن الآشورى . وبطبيعة الحال قدم الفينيقيون الهدايا العاجية والمعدنية المنقوشة بمناظر مصرية للملوك الآشوريين . كما أنه لا يستبعد اشتراك الفنان الفينيقى فى إخراج مثل هذا العمل الجميل خصوصاً فى تسجيل تفاصيل زى الملوك والشخصيات الخيالية لما عرف عنه من الدقة المتناهية فى توضيح دقائق التفاصيل الموجودة على المصنوعات العاجية والمعدنية . لكن الفنانين الفينيقيين ما هم إلا صنّاع مهرة يجيدون التقليد المتقن ، ولا قدرة لهم على الابتكار . مما حبذ فكرة اشتراك الحيثيين فى رسم الحيوانات خصوصاً الجياد الفارة لمعرفتهم بها ، وتمكنهم من دراستها وفهم شعورها . أما الشخصيات الخيالية لآدميين بأجنحة أو رجال برءوس طيور ، فلا يعرفها الفينيقيون أو الحيثيون ، لكنها ظهرت باستمرار فى فنون بلاد النهرين ، مما يرجح مشاركة الفنان الآشورى الذى صمم هذه الوحدات فى تنفيذ هذا العمل الفنى .

وفرض اشتراك جنسيات مختلفة فى القيام بمثل هذا العمل الفنى ليس مستبعداً حيث إن هذا الفن وجـد فقط فى القصور الملكية . مما يرجح استخدام الملوك للصناع المهرة من جميع أنحاء الإمبراطورية ليشتركوا فى إخراجه . وقد توقفت هذه العملية بسقوط الدولة الآشورية .

التصوير :

حلت التصاوير الجدارية الملونة محل النقوش البارزة فى بعض الحالات القليلة التى لا تتوفر فيها الإمكانيات الكافية لزخرفة الجدران بالنقوش البارزة .

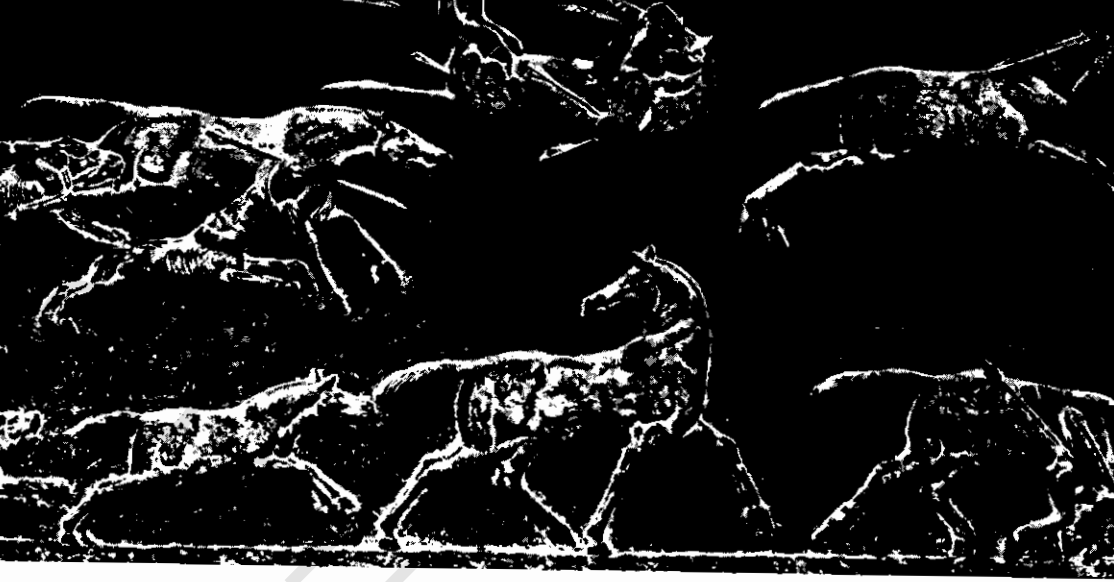

(شكل ١٩٥) « صيد الجياد المتوحشة » نقش بارز على جدار قصر مدينة « نينوى » القرن السابع ق.م « المتحف البريطانى »

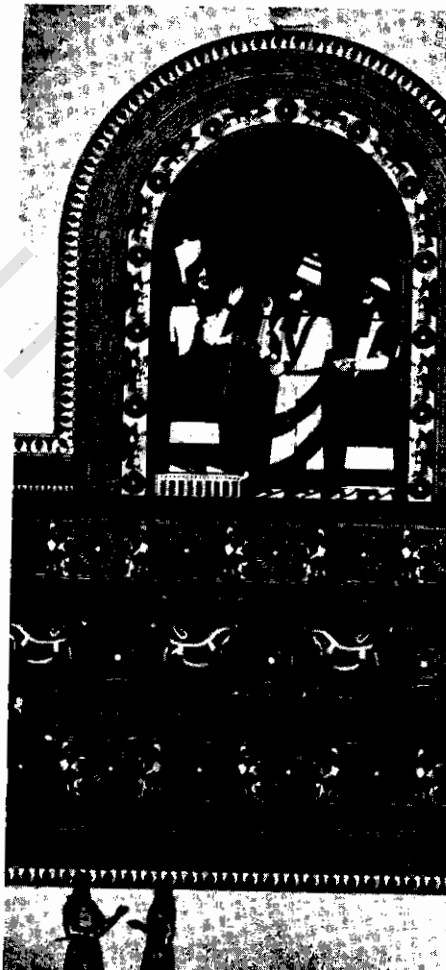

(شكل ١٩٦) صورة ملونة منقولة عن تصوير جدارى عثر عليه فى قصر خورسباد ويظهر به منظر المثول أمام الإله الذى نادراً ما يظهر فى النقوش الأشورية – القرن الثامن ق . م (صورة منقولة عن كتاب « خورسباد » للمؤلف « ل. ألتمان » L. ALTMAIN ص ٨٩)

(شكل ١٩٧) تصوير جدارى من قصر حاكم تل بارسب «التل الأحمر» ويظهر فى الصورة اثنان من رجال القصر . القرن الثامن . « متحف حلب »

وعثر على آثار من هذا الفن فى القاعات الصغيرة لقصر الملك « سرجون » « بخورسباد » توضح الأسلوب المتبع فى التصوير الجدارى الآشورى وبدراسته نلاحظ أن الجدار قد غطى بطبقة من الطلاء الأبيض . ووزعت فوقه الزخارف الملونة . وتتكون الوحدات الموجودة فى إحدى هذه الزخارف من مخلوقات مجنحة متكررة بنظام فى إطارين أفقيين ، ويفصل هذه المخلوقات المجنحة زخارف نباتية فى دوائر (شكل ١٩٦) ويفصل هذين الإطارين إطار به صف من الثيران ، ويوجد بين هذه الثيران زخارف هندسية . وتعلو الإطارات الثلاثة صورة ملونة تمثل الملك ماثلا أمام الإله « أشور » والألوان المستعملة فى هذه الصورة هى الأحمر والأزرق والأبيض والأسود ، مع تحديد الوحدات المرسومة باللون الأسود . وللأسف اندثرت معظم هذه الجدران الملونة . إلا أنه عثر فى مدينة « تل بارسب Tell Barsip » - حاليا « تل أحمر » على قصر يرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد[1] تقتصر زخرفة جدرانه على التصاوير الملونة (شكل ١٩٧) ، كما توجد به زخارف مكونة من وحدات متشابهة مع الوحدات المذكورة سابقاً فى خورسباد ، وحيث إن هذا القصر خاص بحاكم مدينة صغيرة ، لذلك لم يستخدم فيه طبقة العمال التى استخدمت فى تزيين قصور عواصم الأباطرة الآشوريين . لذا من المؤكد أن التصوير الجدارى الذى وجد فى قصر « خورسباد » كان يمتاز عن تصاوير هذا القصر . ولقد عرف فن زخرفة القصور الملكية بتصاوير ملونة فى بلاد النهرين منذ القرن الثامن عشر ق . م ، واتضح ذلك من آثار قصر مدينة « مارى » كما ظهر فى عهد حكم الكاشيين لبابل فى القرن الرابع عشر ق . م فى مدينة « أقرقاف » .

ولقد عرف الآشوريون استخدام الألوان فى زخرفة أجزاء من الجدران بالطوب الحرق منذ عهد الملك أشورناصربال ، حيث عثر فى قصره على قوالب من

---

(١) قامت بعمليات التنقيب فى مدينة تل بارسب بعثة فرنسية فى عام ١٩٣٠ – ١٩٣١ ولقد عثر بهذا القصر على حوالى ١٣٠ متراً من الجدران المزخرفة بمناظر مختلفة .

الطوب الخزفى الملون . كما عثر على طوب خزفى أزرق فى مبانى الزقورة التى عثر عليها فى مدينة « خورسباد » .

الفنون التطبيقية :

زين الآشوريون أبواب مدخلهم الخشبية بألواح برنزية نقشوا عليها مناظر تسجل أحداثهم . ففى مدينة « بلاوات » — حاليا « أمحور » — عثر الأستاذ (هورمزد راسام)[1] على ألواح برنزية كانت تغطى الأبواب الخشبية لقصر الملك « شلمنصر » . ويوجد بكل لوح إطاران منقوشان بمناظر توضح الحملات التى قام بها الملك ، ويفصل بين الإطارين وحدات متكررة لزهرة الروزيت . وتسجل هذه المناظر المختلفة شكل القلاع الآشورية كما توضح نوع الأسلحة التى استخدمها الآشوريون فى حروبهم . ولضيق الشريط عبر الفنان عن الطبيعة الجبلية التى يتقدم فيها الجيش بخطوط منحنية فنرى فى أحد السطور الجيوش تسير فى منطقة جبلية يتقدمها صف من الأعداء العرايا مقيدة أيديهم خلف ظهورهم (شكل ١٩٨) . وبالإضافة إلى الألواح البرنزية السابقة عثر أيضًا على ألواح برنزية كانت تغطى بوابات قصر الحريم فى « خورسباد » .

ولقد أتقن الآشوريون صناعة التماثيل البرنزية ويوضح ذلك تمثال من البرنز لأسد عثر عليه فى « خورسباد » (شكل ١٩٩) تبدو على ملامح وجهه الشراسة المعروفة فى مناظر صيد الأسود الآشورية .

وقد احتوت قصور الآشوريين على كميات هائلة من العاج المنقوش استعملت فى أغراض كثيرة . فإما تثبت فى قطع الأثاث أو تزين بها عروش الملوك أو يقتصر صنعها على عمل علب وتماثيل وأمشاط . . . إلخ . وهذه القطع

---

(١) تمرن الأستاذ هورمزد راسام على أعمال التنقيب مع لايارد ، ولايارد ، وعثر على هذه الألواح البرنزية بعد عمليات التنقيب فى مدينة نينوى » سنة ١٨٧١ .

(شكل ١٩٨) ألواح كانت تغطى الأبواب لقصر الملك شلمنصر فى «بلاوات» . ويظهر فيها يصور الأعداء عرايا أيديهم إلى الخلف وأ موضوعة فى أطواق . القرن « المتحف البريطانى »

(شكل ١٩٩) أسد من البرنز عثر عليه فى مدينة خورسباد . القرن الثامن ق.م «متحف اللوفر»

(شكل ٢٠٠) قطعة عاجية منقوشة وملونة تصور زنجيا تفترسه أنثى الأسد بجوار مجموعة من نبات البردى . عثر عليها فى «نمرد» القرن الثامن ق. م ويوجد من هذه القطعة اثنتان . الأولى فى إنجلترا والثانية فى بغداد (صورة الغلاف)

العاجية قد تكون ملساء أو منقوشة . وفى بعض الأحيان يلون العاج أو يرصع بأحجار ملونة ، كما كان بعض أجزاء منه تغطى بطبقة من الذهب . وأكبر مجموعة من الآثار العاجية عثر عليها فى مدينتى « نمرد » و « خورسباد » . وبطبيعة الحال قام الفينيقيون وبعض السوريين بصنع هذه القطع العاجية . فقد وجد على سطح بعض هذه القطع حروف « فينيقية » كما أن المجموعة التى عثر عليها فى « خورسباد » يغلب فيها ظهور الوحدات المصرية . ويلاحظ فى بعض الأحيان ظهور وحدات آشورية بجانب الوحدات المصرية بغية إرضاء الملوك الآشوريين . مثال ذلك القطعة التى عثر عليها فى « نمرد » فهى تصور لبؤة تهاجم زنجياً بجوار مجموعة من نبات اللوتس (شكل ٢٠٠) وتعتبر هذه القطعة الملونة من أحسن القطع العاجية التى صنعها الفينيقيون للآشوريين من حيث التصميم والتنفيذ .

ومن القطع التى لا يظهر فيها التأثير المصرى مما يرجح صناعتها بيد السوريين الآراميين قطعة تمثل وجه امرأة مبتسمة[1] (شكل ٢٠١) عثر عليها الأستاذ « لوفتس Loftus » فى مدينة نمرد . ومن الغريب أن يكثر فى هذه المصنوعات العاجية ظهور وحدات نسائية بعكس ما كان متبعاً فى الفن الآشورى .

النحت :

لم يكن لفن النحت الكامل أهمية عند الآشوريين مثل الأهمية التى وجدت فى فن النقش البارز على الأحجار . والظاهر أنه كان نادراً وإذا ما وجدت آثار نحت كامل فإن صناعتها تدل على فن بسيط .

وأقدم التماثيل التى عثر عليها فى « آشور » هى تماثيل صغيرة من الحجر يغلب عليها طابع الفن السومرى . وذلك لوقوع « آشور » فى ذلك الوقت تحت الحكم البابلى . ومن التماثيل القليلة التى نحتت بعد ظهور طابع الفن الآشورى

---

(١) يطلق البعض على هذه القطعة « موناليزا الشرقية » وذلك لاشتراكها مع الوجه المشهورة فى اللوفر بظهور ابتسامة غامضة على الوجه .

(شكل ٢٠١) قطعة عاجية منحوتة على هيئة رأس فتاة عثر عليها فى « نمرود » .

(شكل ٢٠٢) تمثال ملك أشور ناصر بال الثانى من نمرود ، تمثال مصنوع من حجر الألبستر وارتفاعه [illegible] م . القرن التاسع ق . م . (متحف البريطانى »

تمثال الملك « أشورناصربال » . ويلاحظ أن الفنان صور الملك فى وضع مشدود لا تعبير فيه ولا حركة ، عارى الرأس ممسكًا بيديهصولجان الحكم وسلاحًا ذا نهاية مقوسة (شكل ٢٠٢) ، وليس بالزى تفاصيل مثل ما هو موجود على الألواح الحجرية كما لا يكشف الزى عن شكل الجسم . ودرجة النحت لا تبلغ من الجودة ما وصل إليه فنان النقوش البارزة . ويذكرنا التصميم الكلى للتمثال بتمثال « جوديا »ولو أن الأخير يمتازعنه كثيراً فى دقة الصناعة .

الأختام الأسطوانية :

قلّ ظهور الأختام فى العصر الأشورى لعدم الحاجة إليها . ولكن لم يخل الأمر من ظهور أختام بها نقوش لبعض الموضوعات المفضلة . فاختفت المناظر الدينية من الأختام الأسطوانية وحلت محلها مناظر الصيد . أو صور لحيوانات تقوم بحركات نقشت بدقة وعناية ، وتدل الصناعة الدقيقة لهذه الأختام على وجود طبقة من العمال المهرة من الجائز أنهم اشتركوا فى عملية نقش الألواح الحجرية .

الفصل الثانى

الدولة البابلية الحديدة

٦٢٥ ق . م -- ٥٣٩ ق . م

تمهيد تاريخى :

أخذت الدولة الآشورية فى الضعف والاضمحلال فى أواخر عهد الملوك الأشوريين . وذلك من جراء هجمات قبائل السيثيان . وانتهز هذه الفرصة حاكم بابل المعين من لدن الآشوريين واسمه (نبوپولاسار » أو (بختنصر) للاستقلال بالحكم فى سنة ٦٢٥ ق . م وتمكن الملك البابلى بمعاونة الميديين من غزو « نينوى » وقضى على ما تبقى من الدولة الآشورية فى « حران » فى سنة ٦٠٩ ق . م وكون مملكة بابل الجديدة التى حكمتها أسرة مكونة من عشرة ملوك .

أخذت الدولة البابلية الجديدة مركز الآشوريين فى حكم بلاد النهرين، وزاد نفوذ هذه القوة الجديدة تحت حكم الملك « نبوخد نصر » الذى هزم الملك المصرى « أبشمتيك » فى « قرقميش » فى سنة ٦٠٤ ق . م واسترجع ممتلكات الدولة الآشورية حتى حدود مصر ووضع نهاية لدولة يهوذا بعد أن هزمها وهجر الجزء الأعظم من سكانها اليهود إلى بابل . وفى أواخر عهد الدولة أخذت عوامل الضعف تظهر فيها فى الوقت الذى زادت فيه قوة الفرس الذين تغلبوا على أولاد عمومتهم الميديين فى حكم إيران فتمكنوا من غزو بابل فى سنة ٥٣٩ ق . م . تحت قيادة الملك كورس الذى قلب أوضاع مناطق النفوذ فى حكم منطقة الشرق الأوسط ثانية . وبذلك أصبحت بلاد النهرين مرة أخرى تحت الحكم الأجنبى ، وبقيت كجزء من الإمبراطورية الفارسية حتى عام ٣٣٢ ق . م حين غزا الإسكندر المقدونى البلاد ، واستولى على بابل .

لم يتمكن المنقبون من العثور على آثار كثيرة من ذلك العهد تسمح بدراستنا للفن البابلى الجديد . وكل ما عثر عليه منه هى آثار مدينة بابل المعمارية .

العمارة :

اكتشف الأستاذ « كلدوى Robert Coldway » الجدار الخارجى لمدينة بابل الذى أعاد بناءه الملك « نبوخذ نصر » . وكانت بابل فى فترة حكمه تعد أعظم مدينة فى العالم القديم . وتدل هذه الآثار على أن المدينة كانت محاطة بسورين سميكين محصنين بأبراج عالية . كما كان بها بوابات سميت بأسماء الآلهة البابلية . أهمها البوابة الرئيسية المعروفة ببوابة « أشتار »[١] (شكل ٢٠٣) .

زينت واجهة هذه البوابة وجدران الطريق الموصل إليها بطبقة ملونة من الطوب الخزفى تظهر فيه وحدات من الحيوانات وينتهى هذا الطريق المؤدى إلى بوابة أشتار بمعبد الإله «مردوك» المشيد فوق الزقورة فى وسط المدينة ، وقد زاد عدد الطبقات فى زقورة « بابل » إلى سبع طبقات وذاع صيتها فى العالم القديم[٢] ، وقد ذكر الرحالة هيرودوت أن المصاطب كانت مشيدة بالآجر . أما جدران المعبد فكانت مغطاة بالطوب الخزفى الملون كما غطيت جدران غرفة الإله وأخشاب السقف بالذهب والفضة . وكان تمثال الإله مصنوعاً من الذهب وقام برسمه من الخيال مجموعة من كبار المصورين فى أوربا .

وقد اعتمد البابليون على الطوب الخزفى الملون فى تزيين الجدران وطوروا فيما تعلموه من الآشوريين . فقدم لنا الطوب الخزفى وخاصة الموجود فى بوابة « أشتار »

---

(١) يوجد جزء باق من هذه البوابة فى موقع المدينة قريباً من بغداد ، ونقل جزء من هذه البوابة إلى متحف برلين ورم .

(٢) يتكون هذا المبنى من سبع مصاطب يعلوها معبد الإله ماردوك ويظن أن هذا المبنى هو الذى عرف باسم برج بابل فى الكتب الدينية . وقد قام بوصفه تياس — طبيب الملك الفارسى ارتاكزكس فى سنة ٤٠٥ ق . م كما كتب عنه الرحالة الإغريقى هيرودورت . ولقد حاول الملك اسكندر ترميمه .

زخارف متعددة الألوان «لوحة ملونة رقم ٤» . فعلى الأرضية الزرقاء توجد وحدات من الحيوانات الملونة بألوان مختلفة موزعة فى صفوف أفقية ويظهر فى أحد الصفوف وحدات متكررة للثور الخاص بالإله « آداد » ولون الجسم أصفر بنى ، أما قرونه وحوافره وأهداب الذيل وشعر ظهره فلونها أخضر فى زرقة ، ويظهر الحيوان الخرافى المقدس الذى يمتطيه الإله « ماردوك » متكرراً فى صف آخر ، ويتميز هذا الحيوان الخرافى بجسم ممتد ورقبة طويلة ورأسه الذى يشبه الثعبان : له قرون ويمتد لسانه إلى الخارج . كما تأخذ أقدامه الأمامية شكل أقدام الأسود والخلفية أقدام النسر «لوحة ملونة ٤ - ا» . ويحيط بهذه الزخارف إفريز ملون بالأصفر به وحدات هندسية أما الوحدات الحيوانية التى تزخرف جدران الطريق المؤدى للبوابة فهى عبارة عن صفوف من الأسود الكاسرة[1] . «لوحة ملونة ب » .

وقد استخدم البابليون الطوب المزجج أيضًا فى زخرفة واجهة مدخل قاعة العرش . فيظهر على الجدار تصميم زخرفى به وحدات نباتية بالإضافة إلى صف من الأسود . ويلاحظ فى وسط المساحة وحدات على هيئة أربعة أعمدة نخيلية الشكل يربطها فروع من نبات اللوتس (شكل ٢٠٤) . ومن الجائز أن الفنان تأثر فى زخرفته بالأعمدة النخيلية التى كانت تزين واجهة قاعة الحريم فى قصر « خورسباد » .

النحت :

من الآثار النادرة للنحت البابلى عثر على تمثال من الحجر يمثل أسداً يفترس آدميًا (شكل ٢٠٥) وقد شوهدت هذه الوحدة قبل ذلك فى قطع العاج الأشورية .

---

(١) ذكر أن عدد وحدات الأسود الكاسرة الموجودة على جدران الطريق بلغ ١٢٠ وحدة ، ستون على كل جانب .

(شكل ٢٠٣) رسم تخطيطى لمدخل مدينة بابل وتظهر به بوابه « إشتار » .

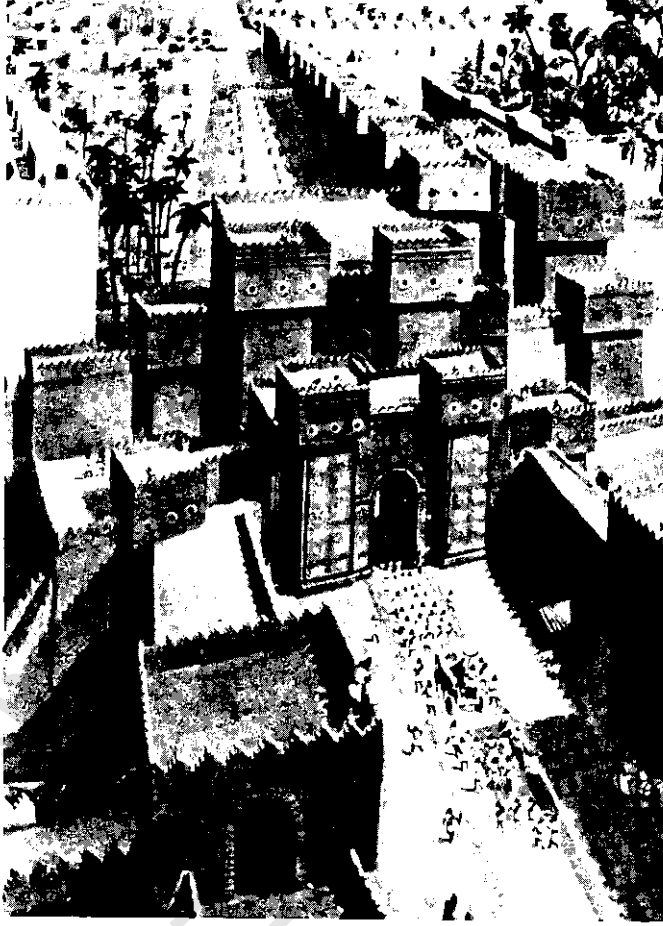

(شكل ٢٠٤) جزء من جدار « قاعة العرش » فى قصر « بابل » . ويغطى الجدار طوب الخزف الملون المزخرف القرن السادس ق.م. «متحف الدولة ببرلين»

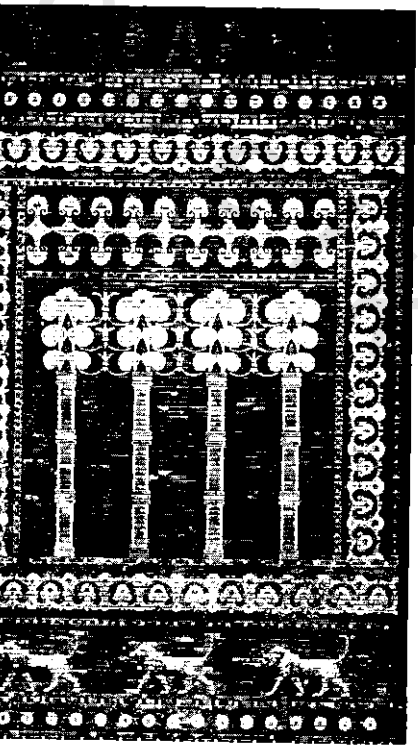

(شكل ٢٠٥) تمثال من الحجر .

(شكل ٢٠٦) ختم أسطوانى من العصر البابلى الجديد ويظهر فيه نقش لنعامة تهرب من الصياد

الأختام :

انتشر استعمال الختم المسطح . وكان يصنع عاده من مخروط ناقص مستدير عند القمة . ولم تتميز الأختام البابلية الجديدة بطابع خاص . فيستمر ظهور مناظر صيد الحيوانات (شكل ٢٠٦) كما تظهر بعض المواضيع الدينية .

obeikandl.com